

المجتمع المدني في الجزائر: إشكالية مفاهيم وخلل في الوظائف

A problem of concepts and :Civil society in Algeria dysfunction

خالد زعاف *

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة البويرة، الجزائر، مخبر متعدد التخصصات
في علوم الإنسان، البيئة والمجتمع، k.zaaf@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/22؛ تاريخ القبول: 2021/06/17؛ تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص :

سنتطرق في مقالنا هذا إلى واقع المجتمع المدني في الجزائر باعتبار أن هذا المفهوم يظهر ويتطور إلى أن يتبلور في إطار خصوصية هذا المجتمع، حيث لا يرتبط الواقع بالحياة السياسية فقط بل تعدى الأمر إلى الواقع الاجتماعي والسوسيولوجي وذلك الارتباط يحمل في طياته خصوصية كل مجتمع على حدة؛ لذلك سنحاول الكشف عن أهم المتغيرات التي تؤثر في المجتمع المدني على وجه الخصوص والتي جعلته لا يستطيع القيام بوظيفته الاجتماعية كوسيط بين المجتمع والنظام السياسي . ثم سيتم الكشف عن وسائل الاتصال التي يستعملها المجتمع المدني محاولين رصد مدى استثماره لتلك الوسائل سواء كان ذلك بهدف طرح أفكاره أو القيام بمعارضة توجه ما أو دعم خطاب معين سياسياً كان أو اجتماعياً أو حتى إيديولوجياً .

وستنطلق تحليلاتنا من مفهوم المجتمع التقليدي كما ستبين نتائج هذه الدراسة أن النظام الاجتماعي الجزائري ما انفك عن كونه نظاما تقليديا في تفاعلاته وعلاقاته وكذا آليات تحركاته . فمفهوم القبيلة يُعتبر حاضرا بقوة ولا يمكن إنكار وجوده بيننا ولا

أن نغير الألفاظ المتداولة بين أفراد المجتمع الجزائري ك (وليد الحومة، وليد الدشرة،....) وغيرها. أضف إلى ذلك أننا سندشير إلى نقطة جوهرية وهي أنه في خِصَم تلك المفاهيم التقليدية والألفاظ المتداولة أسهمت تلك الظروف في تكوين أحزاب لم تخرج عن إطار الجهوية لتستعين بالعنف كوسيلة اتصال بين أفراد الوطن الواحد. وبالتالي قد تم توجيه التفكير الباطني تلقائياً بهدف خدمة التحيز والتمييز وتغذية فكرة تصنيف الأفراد مع اعتبار النسب والجهوية معياراً في التعامل.

كلمات مفتاحية: المجتمع المدني؛ المجتمع التقليدي؛ العنف؛ الجهوية؛ القبلية.

Abstract:

In our article, we will address the reality of civil society in Algeria, considering that this concept appears and develops within the framework of the specificity of each society and is not fundamentally related to political life, but rather the social and social realities of each society, and we will try to uncover the most important variables affecting it, which made it unable to function as a mediator between society and the political system and try to reveal the means of communication that civil society uses to put forward its ideas or to support political or social discourse or Ideologically and we will start in our analysis of the concept of traditional society, as the results of this study showed that the Algerian social system is still a traditional system in its interactions and relations and so on, the concept of the tribe still exists strongly and to change the word (Walid al-Houma, Walid Al-Dashra,...) and so regional where we find parties formed in a regional framework and so on the use of violence as a means of communication between individuals.

Keywords: Civil society; traditional society; violence; regional; tribalism.

1. المقدمة:

من أهم الآليات المحركة والمنظمة للحياة الديمقراطية هو "المجتمع المدني"، حيث يعتبر الآلية الأكثر تطوراً وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم المجتمع الحديث. وإن كان

ظهور هذا المفهوم مرتبطاً أكثر بالثورة الفرنسية والأمريكية، إلا أن ظهوره كان على يد مونتيسكيو مع مفهوم العقد الاجتماعي في القرن 17.

وقد أصبح المجتمع المدني في الوقت الحالي المرتكز الأساسي في اختيار البرامج وكذا الأطروحات السياسية والفكرية، فهو فضاء عمل يضم مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين (أحزاب، جمعيات، منظمات، نقابات،... إلخ). ويحوى أيضاً على كل فئات المجتمع من عمال، بطالين، رجال ونساء، شباب وشيوخ. إذ تُعد تلك الفئات من دعائم المجتمع المدني التي تمارس حقها في الانتخابات لتختار من يساندها ويدافع عن مطالبها ويحافظ على حقوقها، ولا يمكن أن ننسى دورها في تبني أطروحات النظام أو إلغائها.

وعلى ما يبدو فإن العلاقة التي تجمع بين المجتمع المدني والديمقراطية قوية، فكلما كان المجتمع واعٍ ومنظم ومتحرر من النظم الاجتماعية التقليدية كلما استطاع أن يبني مجتمعاً متطوراً وقوياً. وكلما كانت قيمه الاجتماعية تتمحور حول احترام القانون وحرية التعبير وحق المواطنة كلما استطاع تنظيم أفراد داخل مؤسسات اجتماعية قوية كالأحزاب والمنظمات، وبالتالي الضغط على النظام السياسي القائم لتحقيق مطالبه الاجتماعية ليصبح المجتمع المدني في هذه الحالة هو المرجعية والمصدر والمشرع للنظام السياسي ويعتمد النظام السياسي بدوره شرعيته منه.

2. تعريف المجتمع المدني ووظائفه:

1.2 تعريف المجتمع المدني:

يتعين في البداية الإشارة إلى أنه ليس هناك مفهوم ثابت أو جامد أو قابل للاستخدام في كل زمان ومكان، حتى تلك المفاهيم التي تبدو لنا كذلك. فالمفهوم عادة مرتبط بتاريخ نشأته أي بالمشكلات التي كانت مطروحة ومتزامنة وقت نشوئه. حيث المفهوم مرتبط بالإشكاليات النظرية التي رافقت هذه المشكلات أي بنوعية المناظرة الفكرية التي دارت حول المشاكل المطروحة والطريقة التي حاول بها المثقفون مواجهتها، فهو بالضرورة ابن بيئة تاريخية اجتماعية محددة وينتمي بطبيعة الحال إلى فكر محدد. ثم إن المفاهيم لا تولد انطلاقاً من النظرية فحسب أو عن طريق التفكير بل يستلهم أحدها من الآخر بصورة منطقية ورياضية ويتبلور المفهوم. لكن ظهوره وتطور بلورته

يرتبط أيضا بالصراع الاجتماعي، أي بنوع من الاستخدام الاستراتيجي. ويبدو أنه ليس هناك من مفهوم إلا وتنطبق عليه هذه العوامل الثلاث التي تجعل منه مفهوما ديناميكيا بحثا ثم تجعل منه متحولا وملتبسا في الوقت نفسه حيث نستطيع أن نقول عنه أنه أكثر من مفهوم المجتمع المدني.

وارتبط مفهوم المجتمع المدني في الأدبيات الحديثة بخاصة ذات التوجه الراديكالي باسم "أنطونيو غرامشي" المفكر الشيوعي الإيطالي الذي تجاوز التحديد الماركسي من خلال اعتباره أن المجتمع المدني عبارة عن مجتمع برجوازي بالأساس . ناهيك عن عده مجالا لتحقيق الهيمنة في ظل سيادة الرأسمالية، وبالتالي فرض النفوذ الثقافي والأيدولوجي للبرجوازية، بينما تكون الدولة مجالا لتحقيق السيطرة⁽¹⁾. من الممكن وضع كلمة ينظر في التهميش ذلك بعد تغيير في الأسلوب

تساهم مؤسسات المجتمع المدني بالتأكيد في تقييد سلطة الدولة المطلقة، وتسعى إلى ترويج ثقافة الاختلاف الإيجابي وتدعيم مبادئ الحوار والنقد البناء، ولا ننسى أيضا ترسيخ الديمقراطية. أما بالنسبة لمعالم هذا المجتمع نذكر منها رفض التطرف وإقرار الحريات السياسية، والاعتراف بالتعددية الدينية، واحترام الآخر المغاير، وإشاعة ثقافة الرأي والرأي الآخر كخيارات لا بدّ منها لترشيد القرار السياسي. ثم إن إقامة التوازن بين قوة الدولة وقوى المجتمع من بين أبرز الدعائم خاصة إذا كانت متبوعة بإشراك الأمة ونقصد هنا كل الأمة في الحوار وصناعة القرار.

وهذا بدوره يؤدي إلى أن تقوم المؤسسات المدنية في هذا المجتمع بدور الرقيب على سياسات الدولة بعد قيامها بدور الوسيط بين الدولة والمواطنين من جهة، والإشراف على مسيرة الإصلاح السلمي من جهة أخرى، وذلك لإزالة كافة التقاطعات التي قد تحصل بين السلطة والمجتمع، التي تحول دون جعل الطرف الأول حاضرا وراعا لإرادة الطرف الثاني. وهذا ما يعزّز استقرار الواقع الاجتماعي ويساهم في إيجاد حالة من

(1) العياشي عنصر، ماهو المجتمع المدني؟ الجزائر نموذجا، ورقة مقدمة لندوة "المشروع القومي والمجتمع المدني" تنظم قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية والآداب والعلوم الإنسانية. - سورية، جامعة دمشق، 7-12 ماي/أيار 2000. <https://journals.openedition.org/insaniyat/11257> مجلة إنسانيات، الجزائر، 2001، ص6.

الانسجام والتكامل بين الطرفين وصولاً لترسيخ حالة التوازن المطلوبة لمواجهة التحديات الداخلية من ناحية، ولقطع الطريق أمام مراهنات المصالح الأجنبية من ناحية أخرى. وكما هو ملاحظ فالتعريف يركز على الجانب الديني في تعريف المجتمع المدني، كما أنه ينزع مفهوم الصراع من دور المجتمع المدني. وكأن دوره لا يتعدى النصح والارشاد رغم أن المجتمع المدني قد يدخل في صراع قوي مع النظام السياسي في حالة ما إذا اختلفت المصالح (اضرابات، مقاطعة الانتخابات، احتجاجات).

يُعرف المجتمع المدني من زاوية أخرى ومن منظور مغاير مع الدكتور صالح ياسر ذلك أنه اعتبر هذا المجتمع غير الخاضع للمؤسسة الدينية، أي مجتمع علماني بالدرجة الأولى وهذا هو الشق الأول من رؤيته. ثم اعتبره مجتمعاً غير خاضع للسلطة العسكرية (المجتمع العسكري) في شقه الثاني. أما الشق الثالث للدكتور صالح يكمن في أن المجتمع المدني مجتمع مستقل عن المؤسسة السياسية وعن أجهزة الدولة الدائمة⁽¹⁾.

نستنتج من هذا التعريف بأن عبارة "المجتمع المدني" تعني ذلك المجتمع الذي ينشأ كيانه الذاتي ويحافظ على قوانينه ويصوغ مبادئ تنظيمه واشتغاله، ويقيم قانونه أو عقده الاجتماعي الخاص به والمميز له. إن هذا التصور، يتفق وأفكار معينة من قبيل التحضر والاحترام وكذا فكرة القانون المدني، وبحسب هذا الأفق المعرفي فإن المجتمع المدني هو عبارة عن مجتمع يتألف من مواطنين أحرار باستطاعتهم العيش سوية وبشكل مشترك بحسب القواعد التي الذي تم الاتفاق عليها والتي أصبحت عادات لا يمكن تجاوزها. وكما هو موضح في التعريف فقد حاول الباحث تعريف المجتمع المدني انطلاقاً من خلفية أوروبية التي كانت توجه التعريف وتصب في مجرى معين يخدم تلك الخلفية، ويعني ذلك أنه استنبط تعريفه من أسباب قيام الثورة الفرنسية أين لعبت الكنيسة دوراً في قيامها. بالتالي فهو يدعو إلى مجتمع علماني خارج عن كل خطاب ديني، بينما هذا التعريف لا يتلاءم مع مجتمعنا الجزائري خاصة أن الخطاب الديني حاضراً وليس بمُعَيَّب في هذا المجتمع.

(1) د. صالح ياسر المجتمع المدني والديمقراطية، بعض اشكاليات المجتمع المدني والمجتمع السياسي والديمقراطية، الأكاديمية العربية في الدانمارك 08 مارس 2009 ص4 <https://ao-academy.org/2006/03/376.html>

إذن سنعرّف المجتمع المدني على نحو اجرائي بأنه جملة " المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تعمل في ميادينها المختلفة في استقلال نسبي عن سلطة الدولة لأغراض متعددة منها:

أغراض سياسية كالمشاركة في صنع القرار على المستوى الوطني، ومثال ذلك الأحزاب السياسية، ومنها غايات نقابية كالدفاع عن المصالح الاقتصادية لأعضاء النقابة، والارتفاع بمستوى المهنة والتعبير عن مصالح أعضائها، ومنها أغراض ثقافية كما في اتحادات الكتاب والمثقفين والجمعيات الثقافية التي تهدف إلى نشر الوعي وفق الاتجاهات أعضاء كل جمعية، ومنها أغراض اجتماعية للإسهام في العمل الاجتماعي لتحقيق التنمية . وبالتالي، يمكن القول إن العناصر البارزة لمؤسسات المجتمع المدني هي: الأحزاب السياسية، النقابات العمالية، الاتحادات المهنية، الجمعيات الثقافية والاجتماعية.

وإذا حللنا التعريف السابق إلى مكوناته أمكننا أن نستنتج بأن جوهر المجتمع المدني بحسب وجهة النظر هذه ينطوي على أربعة عناصر رئيسية:

العنصر الأول يتمثل في فكرة "التطوع"، أو بعبارة أصح المشاركة التطوعية التي تميز تكوينات وبنى المجتمع المدني عن باقي التكوينات الاجتماعية المفروضة أو المتوارثة تحت أي اعتبار.

أما العنصر الثاني فيشير إلى فكرة "المؤسسية" التي تطل مجمل الحياة الحضارية تقريباً، والتي تشمل مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولعل ما يميز مجتمعاتنا هو الحضور الطائفي للمؤسسات، وغياب المؤسساتية بوصفها علاقات تعاقدية حرة في ظل القانون.

في حين يتعلق العنصر الثالث بـ "الغاية" و"الدور" الذي تقوم به هذه التنظيمات، والأهمية الكبرى لاستقلالها عن السلطة وهيمنة الدولة، من حيث هي تنظيمات اجتماعية تعمل في سياق وروابط تشير إلى علاقات التضامن والتماسك أو الصراع والتنافس الاجتماعيين.

وأخر هذه العناصر يكمن في ضرورة النظر إلى مفهوم المجتمع المدني باعتباره جزءاً من منظومة مفاهيمية أوسع تشتمل على مفاهيم مثل "الفردية، المواطنة، حقوق

الإنسان، المشاركة السياسية، الشرعية الدستورية....الخ.

2.2. دور المجتمع المدني ووظائفه:

يستنتج من التعريف السابق أن وظيفة المجتمع المدني هي تنظيم وتفعيل مشاركة الناس في تقرير مصيرهم، فالمشاركة مبدأ أساسي من المبادئ الصحيحة وهي العلمية التي من خلالها يلعب الفرد دورا مهما في الحياة السياسية والاجتماعية لمجتمعه. وهذه الحلقة تفتقدها الدول النامية بحيث في غالب الأحيان هناك تضيق على الفرد لكي يشارك في وضع الأهداف ومتابعتها وتقييمها⁽¹⁾، ومواجهة الأنظمة السياسية التي لا تتلاءم وأهدافهم ولا تحقق طموحاتهم، وما تقوم به من دور في نشر ثقافة خلق المبادرة وروح التضامن، وثقافة بناء المؤسسات، وتأكيد إرادة المواطنين في الفعل الاجتماعي، وجذبهم إلى ساحة الفعل التاريخي، والمساهمة الفعالة في بناء نظام اجتماعي من خلال إنتاج خطاب اجتماعي يتلاءم وخصوصيتهم ضمن استراتيجية يقوم المجتمع المدني ببنائها.

وارتباطاً بهذا الدور يتبين لنا أن هناك خمس وظائف تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني هي⁽²⁾:

- وظيفة تجميع المصالح:-

حيث يتم من خلالها بلورة مواقف جماعية من القضايا والتحديات التي تواجه أعضائها وتمكنهم من التحرك جماعيا لحل مشاكلهم وضمان مصالحهم على أساس هذه المواقف الجماعية.

- إشاعة ثقافة مدنية ديمقراطية:-

من أهم الوظائف التي تقوم بها منظمات المجتمع المدني إشاعة ثقافة مدنية ترسي في المجتمع احترام قيم النزوع للعمل التطوعي والعمل الجماعي وقبول الاختلافات والتنوع بين الذات والآخر وإدارة الخلاف بوسائل سليمة في ضوء قيم الاحترام والتسامح

(1)- أ. بريش محمد عبد المنعم، تفعيل المجتمع المدني للحد من الفساد في القطاع الصحي من منظور الحكامة، مجلة معارف، السنة 12، العدد 23، ديسمبر 2017، ص 257.

(2) د. كريم محمد حمزة، المجتمع المدني والدولة أوجه التفاعل والتقاطع، مجلة الحكمة، بيت الحكمة، بغداد، العدد 36، السنة السابعة، 2004، ص 73.

والتعاون والصراع السلمي.

بالإضافة إلى وظائف أخرى، لكنها تبتعد عن دراستنا وهي: -

- وظيفة حل وحسم الصراعات.

- وظيفة التربية المدنية.

- إفراز القيادات الجديدة.

إلا أنّ المجالات أو الوظائف الرئيسية التي تؤديها منظمات المجتمع المدني والتي تصب في جوهر مفهوم الحماية الاجتماعية، هي: -

أ-الدعوة لصالح المحرومين: -

فيما يتعلق بحقوق الإنسان، والبيئة والمرأة، وتخفيف حدة الفقر تقوم منظمات المجتمع المدني بتنظيم جماعات قوية للدعوة لتغيير تفكير المسؤولين عن وضع السياسة على الصعيد الوطني والدولي.

ب-تمكين الفئات المهمشة: -

في معظم البلدان النامية، كثيرًا ما يكون الفقر ناجما عن التفاوت في توزيع الموارد أكثر من كونه ناجما عن الافتقار المطلق للموارد، وكثيرا ما يؤدي إلى تركيز منظمات المجتمع المدني على تمكين الفئات المهمشة من المطالبة بحقوقها.

ج- الوصول إلى الأكثر فقرا: -

كثيرا ما تتمكن منظمات المجتمع المدني من الوصول إلى فئات تجد الحكومات أشد الصعوبات في مساعدتها، لا سيما الفئات الفقيرة التي تعيش في المناطق الريفية، حيث تكون الخدمات الاجتماعية هزيلة أو منعدمة.

د- تقديم المساعدة في حالة الطوارئ: -

من بين نواحي قوة المنظمات المجتمع المدني قدرتها على الاستجابة وبسرعة وفاعلية لحالات الطوارئ، فشبكة اتصالاتها تتيح لها أن توجه إنذارا مبكرا بالكوارث، وأن تحث على القيام بعمل تضامني واستقلالها. معناه أنها تستطيع أن تعمل في ظروف تكون صعبة سياسيا بالنسبة للمنظمات الرسمية.

هذه الوظائف تدخل ضمن أدوار المجتمع المدني، والقيام بها بطريقة عقلانية سيسمح للنظام السياسي ومعه المجتمع بالاتصال فيما بينهم، بشكل يؤدي ذلك إلى ظهور مجتمع حديث يتميز بالتكامل بين النظام السياسي، الذي من وظائفه المحافظة على التوازن بين مؤسسات المجتمعات الأخرى وكذا إيصال المطالب الاجتماعية لأفراد المجتمع؛ مما سيقودنا للتغيير بطريقة سلسلة وديمقراطية ودون استعمال العنف كوسيلة لإيصال المطالب. كما أن قيام المجتمع المدني بوظائفه سينتج عنه تكوين أهم مفهوم في المجتمع الحديث وهو مفهوم المواطنة الذي يقضي على مفاهيم أخرى تعرقل تطور المجتمع كالجبهة والقبلية والمحسوبية.

3. المجتمع التقليدي والمجتمع المدني:

مما تبين لنا من خلال التعريفات السابقة، أنه مهما حاولنا تعريف المجتمع المدني إلا أن أهم أسباب نجاحه أو فشله هو الواقع الاجتماعي الذي ينشط بداخله، ولكي يستطيع أن يلعب دورا إيجابيا في تطوير وتحسين الحياة الاجتماعية لابد له أن يتأقلم مع النظام الاجتماعي وأن يتبنى مجموع القيم والمعايير الذي ينتجها المجتمع.

بدأ التغيير في الجزائر مع دخول ثقافة المستعمر، عندما تعرضت التشكيلة الاجتماعية الثقافية، لعملية تثاقف عنيف، وعرف المجتمع ابتداء من ذلك الوقت ثنائية في ثقافته بحيث أدخلت تشكيلة اجتماعية عصرية برموز جديدة حسب النمط الثقافي للمستعمر، فلم تصمد التشكيلة الاجتماعية التقليدية أمام تأثيرها، وكانت البنية الأسرية بما يتخللها من أدوار ووظائف وأفعال تقليدية، هي التي تدهورت تشكيلتها، وبدأت في التغيير الإجباري والدخول في منطق الثقافة العصرية⁽¹⁾. ويعود سبب فشل المجتمع المدني في الجزائر أن تكوينه مرتبط بتعريف غربي وينطلق ذلك التعريف من خلفية مختلفة وهوية مغايرة لخصوصية المجتمع الجزائري. حيث يرتبط التعريف الغربي بمفهوم الديمقراطية على الشاكلة الأوروبية ولكن آليات تحركه مستنبطة من الواقع الاجتماعي الجزائري مما أدى إلى صراع داخل المجتمع المدني بحد ذاته. ولعلنا نعد الرؤية الغربية وتطبيقها على بيئة لا تتناسب مع خصوصية التطلعات

(1) فتيحة حراث، "القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية"، مجلة إنسانيات، العدد 59،

2013، ص 54.

الغربية جوهر ذلك الصراع، فهو يهدد مصير الثقافات وخصوصياتها بل ويجرها إلى ما يسميه محمد عابد الجابري بـ "الاستتباع الحضاري"⁽¹⁾ ولفهم هذه النقطة سنتطرق إلى طريقة عملية إيصال أفكار الأحزاب، إذ من المتعارف عليه في المجتمعات الغربية أنها تتعامل بالكتابي أكثر من الشفهي بحكم أن النظام الرسمي هو المهيمن على التسيير الإداري، ولهذا تجد كل الأحزاب الغربية تملك جرائد ومجلات دورية خاصة بها وتقوم بنشر كتب تبني أطروحاتها وتقوم أيضا بنشر ملخصات لأفكارها في الحملات الانتخابية مثلا ولا تعتمد على الثقافة الشفهية كوسيلة أساسية لإيصال أفكارها إلا عبر مناقشات جانبية. في حين أن ما يلاحظ في أحزابنا اعتمادها على الثقافة الشفهية كأداة اتصال أساسية في طرح أفكارها، لنجد معظم الأحزاب لا تملك جرائد أو مجلات خاصة بها باستثناء بعض الصفحات الالكترونية والتي تغذي نشاطاتها الحزبية أكثر من طرح تصوراتها الإيديولوجية وإن حصل وامتلكت جرائد لا تكون إصداراتها دورية ومنظمة.

كما أننا قلّما أو بعبارة أخرى لا نجد حزبا قد أنتج مُؤلفًا يحمل تصورته للحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مما يجعل من أهدافه غامضة ويقلل من شرعيته.

واعتماد هذه الأحزاب في حملاتها الانتخابية على الشفهي في تسويق أفكارها وأطروحاتها قد يفتح الباب على مصراعيه لظهور الشائعات وانتشارها مما يفقد الأحزاب مصداقيتها ونستطيع أن نسقط هذا المثل على معظم مؤسسات المجتمع المدني في الجزائر.

إن هذا الخلط بين تكوين مجتمع مدني بمفهوم غربي وإنتاج آليات مستوحاة من المجتمع المحلي جعل هذا الأخير لا يتبنى أفكارها من جهة ولم تستطع رفض وجودها من جهة أخرى.

وقبل الدخول في تفاصيل العلاقة بين المجتمع الجزائري والمجتمع المدني باعتبار أن هذا الأخير يستمد مدلوله من المجتمع الأصلي وقبل أن نحدد العلاقة بينهما يجب أن نعرف المجتمع الجزائري.

(1) أ. بسمة جديلي، من الترجمة إلى المثاقفة، نحو حوار أو صراع للحارات"، رهانات الترجمة في زمن العولمة، مجلة معارف، السنة 12، العدد 23، ديسمبر 2017، ص326.

المجتمع الجزائري: يتكون من مجموعة قيم ومعايير تقليدية مستوحاة من نظام اجتماعي تقليدي تكوّن وتطور هذا النظام وأنتج هذه القيم والمعايير من خلال آليات أنتجها المجتمع في مراحل تاريخية معينة خاصة في مراحل الأزمة (حرب، مجاعة، زلازل...) أو مستوحاة من شخصيات كاريزماتية (إمام، شيخ القبيلة، شخصية ثورية...)، ومن قيم دينية (الإسلام وبعض المذاهب الدينية). كما تتميز هذه القيم بأنها أنتجت وانتقلت بطريقة شفوية، فهي متوارثة عبر نظام القصص والأسطورة والحكم والأمثال بمعنى موروث شفوي.

فالمجتمع الجزائري ليس بمجتمع حديث بمفهومه الحالي، أي مجتمع مؤسسات رسمية وقانونية. وإن كان يمكن أن نعرفه بأنه مجموعة بشرية في مدينة واحدة ووطن ثابت يرتبط فيه الأفراد فيما بينهم بروابط الدين والثقافة والدم واللغة وما إلى ذلك، إلا أنه لا يمكن أن نقول إنه يملك مجتمعا مدنيا بمفهومه الغربي؛ ذلك أن المجتمع الجزائري قد ينتظم على شكل قبائل وأسر ممتدة كما أن العلاقات الاجتماعية مبنية على ترتيبات كالرجل والمرأة. وعامل السن يلعب دورًا كبيرًا في تحديد مكانة كل فرد. ونستطيع أن نصنفها على أساس علاقة قرابة؛ فهي مجموعة من العلاقات تستند على القرابة والجوار. ومن الطبيعي أن تحتل الأسرة مكانة أساسية في المجتمع الجزائري، حيث كان "النسق القيمي صورة أو بنية فوقية للبناء الاجتماعي القبلي، الذي يحافظ على وحدة الجامعة"⁽¹⁾ فسكن الأسرة وروابط القرابة والعلاقات السكنية (الحي، المدينة، الولاية) تشكل حماية للناس من الغرياء، فالمسافر إلى ولاية أخرى دائما يبحث عن (وليد بلادو) أو الأقرب إلى سكناه العائلية للشعور بالراحة وخاصة الأمان. وحتى تصور الأفراد للواقع في المجتمع الجزائري فقير فهو يعتمد على بساطة العيش والبحث عن تلبية الحاجات الأولية مما يجعل التضامن الاجتماعي قوي والروابط الاجتماعية قوية * (وان كانت مرحلة الإرهاب التي مرّ بها المجتمع الجزائري جعله يمر بمرحلة اللامعيارية، لكنه مازال متمسكاً بهذا النظام الاجتماعي) نسبياً والمستندة إلى مجموعة من التقاليد والقيم الاجتماعية التي تستمد فاعليتها من القيم الدينية ومن رسوخها في حياة الجماعة، التي تعيد إنتاجها عبر عملية التربية ونقل الإرث الثقافي عبر مؤسسات

(1) Bennoun, M. (1998), Esquisse d'une anthropologie politique, Marinoor, Alger. p28.

التنشئة الاجتماعية.

وأما بالنسبة إلى معالم المجتمع المدني ومكوناته التأسيسية فيمكن تحديدها - كما يرى «جون لوك» في كتابه «رسالة ثانية في الحكم المدني» - بمبدأ الحرية الفردية والذي ينطوي على حق الملكية أولاً، اعتماداً على مفهوم المواطن الذي يشكل اللبنة الأساسية في معمار المجتمع المدني.

أما ما يشكل المبدأ الثاني المكمل لسابقه فهو «التعاقد الاجتماعي» بين مواطنين أحرار بغية تنظيم شؤون مجتمعهم، في ظل «سيادة القانون». وسيادة القانون هو الركن الثالث، والمبدأ الذي لا غنى عنه عند الاستمرار المتقوّم بالجماعة.

وأخيراً يأتي مبدأ «فصل السلطات» ليضمن عدم إساءة استخدام السلطة من قبل فرد أو أقلية، وليؤمّن المشروعية المجتمعية للسلطة القائمة على الاختيار الطوعي للجماعة لينتج عن المبادئ السابقة ما يسميه «جون لوك» الحكم المدني الصحيح⁽¹⁾.

وهكذا نلاحظ أن مكونات المجتمع الجزائري، باعتباره مجتمعا تقليديا، يختلف عن المجتمع المدني؛ فالأول يعتمد على روح الجماعة، فأساس المجتمع الجزائري هو القبيلة والعشيرة، بينما المجتمع المدني يعتمد على الفردانية. كما أن المجتمع التقليدي يعتمد في انتمائه إلى الموالاة والمحبة والقربة، بينما المجتمع المدني يعتمد على مفهوم المواطنة في العلاقات الاجتماعية أكثر من اعتماده على القانون الوضعي، خاصة في العلاقات العائلية، بينما المجتمع المدني يدعو إلى مفهوم اللائكية أو فصل الدين في المعاملات بين أفراد المجتمع.

هذا الاختلاف الأساسي بينهما جعل مؤسسات المجتمع المدني لا تقوم بدورها الاجتماعي كوسيط بين أفراد المجتمع والنظام السياسي القائم، كما أنها من بين الأسباب التي جعلت أفراد المجتمع لا تنطوي داخل مؤسسات المجتمع المدني إلا للضرورة فقط*

(1) د. كريم أبو حلاوة، إشكالية مفهوم - المجتمع المدني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا ط1. 1998. ص109.

* حتى هذه الفكرة مستنبطة من معيار ذي خلفية إسلامية وهو أن الضرورات تبيح المحظورات.

ويتخلل مباشرة عنها عند انتهاء الضرورة ويعود إلى مؤسسته الاجتماعية الأصلية وهي الأسرة.

وهكذا، فالفرق بين المجتمع الجزائري، الذي هو مجتمع تقليدي، وبين المجتمع المدني هو فرق في تكوين كل مجتمع، وإن كان ملاحظاً أن المجتمع المدني في الجزائر حاول أن يتبنى ميكانزمات تحرك المجتمع العام، مثل الدين والعرض، إلا أن أصل تكوّن المجتمع المدني يختلف تماماً عن المجتمع العام؛ لأنه نتاج مفاهيم ظهرت في مجتمع آخر ولأسباب اجتماعية أخرى لا تتلاءم ولا تشبه المجتمع الجزائري.

الخاتمة:

في الأخير وفي نهاية هذا المقال نخلص إلى أنه من الصعب تحديد مفهوم المجتمع المدني تحديداً واضحاً ودقيقاً، خاصة في واقعنا الاجتماعي، فالنظام الاجتماعي الجزائري تكوينه شفهي لم يعتمد كثيراً على الكتابة، كما أننا لا نجد دراسات حاولت تنظير المجتمع الجزائري؛ لهذا يصعب علينا التحكم في نظامه الاجتماعي. ثم إن هذا العجز هو الذي أدى إلى صعوبة تأقلم مفهوم المجتمع المدني مع المجتمع الجزائري، خاصة وأنه تناسى مفهوماً أساسياً في النظام الاجتماعي، وهو مفهوم الصراع. ومفهوم الصراع ضروري لتطوير الحياة الديمقراطية، فالمجتمع المدني هو قبل كل شيء جزء من المجتمع الأم، يتفاعل معه وينتج قيمه ولا يستطيع العمل خارج حدوده، ومهمته الأساسية هي تأطير عمليات التغيير الاجتماعي عكس النظام السياسي الذي هدفه الاستقرار.

ومن هنا، فمفهوم الصراع ضروري لبقاء المجتمع المدني، وإلا رفضه أفراد المجتمع، وهذا ما هو ملاحظ في وقتنا الحالي؛ لأنه يقوم بالدفاع عن النظام السياسي الحالي، مما أفقده أهم وظيفة وهي محاولة التغيير وليس حفظ الاستقرار؛ لهذا كان واجباً علينا تحديد مكنن الخلل في مفهوم المجتمع المدني وكيف أنه حاول إسقاط نظرة غربية على مجتمع له كيانه وآلياته وعاداته وقيمه الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات العربية، ناهيك عن الغربية، حيث خصوصية هذا المجتمع تم إنتاج كل العادات والقيم وفق أسباب خاصة به لا تتلاءم والمجتمعات الأخرى.

كما أن وظائف المجتمع المدني تتعدى الجوانب الإنسانية إلى الجوانب السياسية والإقتصادية، وإذا أرادت مؤسسات المجتمع المدني تأكيد وجودها والقيام بوظائفها لا بد

أن تعيد تحديد مفهومها وأن تترك المجتمع العام يحتويها وليس أن تحتوي المجتمع العام، فمهما كانت قوتها وسلطتها وإمكاناتها المادية والبشرية، ومهما كان دورها الاجتماعي، إلا أنها تبقى جزءاً من مجتمع كلي تتفاعل داخله مع مجموع الأنساق الأخرى.

المراجع:

الكتب:

- د. كريم أبو حلاوة، إشكالية مفهوم لمجتمع المدني، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1. 1998.

-Bennoun, M. (1998), Esquisse d'une anthropologie politique, Marinoor, Alger.

المقالات:

- بريش محمد عبد المنعم، تفعيل المجتمع المدني للحد من الفساد في القطاع الصحي من منظور الحكامة، مجلة معارف، السنة 12، العدد 23، ديسمبر 2017.

-بسمة جديلي، من الترجمة إلى المثاقفة، نحو حوار أو صراع للحارات "رهانات الترجمة في زمن العولمة، مجلة معارف، السنة 12، العدد 23، ديسمبر 2017.

-كريم محمد حمزة، المجتمع المدني والدولة أوجه التفاعل والتقاطع، مجلة الحكمة، بيت الحكمة، بغداد، العدد 36، السنة السابعة، 2004.

- فتيحة حراث، "القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية"، مجلة إنسانيات، العدد 59، 2013.

مواقع الأنترنت:

- د. صالح ياسر، المجتمع المدني والديمقراطية، بعض اشكاليات المجتمع المدني والمجتمع السياسي والديمقراطية، الأكاديمية العربية في الدانمارك.

<https://ao-academy.org/2006/03/376.html> 08 مارس 2009، ص4.

-العايشي عنصر، ماهو المجتمع المدني؟ الجزائر انموذجا، ورقة مقدمة لندوة "المشروع القومي والمجتمع المدني" تنظيم قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية، كلية والآداب والعلوم الإنسانية. - سورية، جامعة دمشق، 7-12 ماي/أيار 2000. <https://journals.openedition.org/insaniyat/11257>

مجلة إنسانيات، البلد الجزائر، س 2001.